

فقه الأسماء الحسنى

المتكبر

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٤-٢-١٤٢٩هـ

تفریغ: سالم الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

معاشر المستمعين، ومن أسماء الله الحسنى: المتكبر.

وقد ورد هذا الاسم في موضع واحد من القرآن، وهو قول الله -تعالى-: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

والمتكبر -أيها الإخوة المستمعون- اسم يدل على وصفه سبحانه بالتكبر والكبرياء، والتاء في المتكبر: ليست تاء التعاطي والتكلف، وإنما هي تاء التفرد والاختصاص، فالكبرياء وصفه سبحانه الذي لا يليق إلا به، ولذا سيأتي ذكر الوعيد الشديد للمتكبرين، وعقوبات الله -عز وجل- لهم المعجلة والمؤجلة.

قال قتادة -رحمه الله-: "هو الذي تكبر عن السوء"، وقال أيضاً: "الذي تكبر عن السيئات".

وقال مقاتل: "المُعْظَمُ عن كل سوء".

وقال أبو إسحاق السبيعي: "الذي يكبر عن ظلم عباده".

وقال ميمون بن مهران: "تكبر عن السوء والسيئات، فلا يصدر منه إلا الخيرات".

وجماع ذلك -أيها الإخوة المستمعون- أن هذا الاسم يدل على تعالى الله عن صفات الخلق، وتَعْظُمُه سبحانه عن مماثلتهم

أو أن يماثلوه، ورفعته سبحانه عن كل نقص وعيب، فهو المتكبر عن: الشر، وعن السوء، وعن الذل، وعن كل نقص، وهذا متضمنٌ بثبوت الكمال له سبحانه في أسمائه وصفاته وأفعاله.

والتكبر -أيها الإخوة المستمعون- لا يليق إلا به سبحانه؛ لأنه وحده المالك وما سواه مملوك، ووحده الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وما سواه مخلوق، ووحده المتفرد بصفات الكمال والجمال والعظمة والجلال، كما كان يجمع ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تسيحه لربه سبحانه في ركوعه وسجوده، حيث كان يقول: ((سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة))، فالمرّة عن النقائص الذي له الملك والتصرف والتدبير والعظمة في أسمائه وصفاته وأفعاله هو وحده المتكبر لا شريك له، وأما العبد المخلوق فمقامه العبودية، والخضوع، والذل، والانكسار، والركوع، والسجود للكبير المتعال، العظم ذي الجلال، ولعل في هذا سرّاً من أسرار ذكر الله بالتكبر عند الخفض للركوع والخفض للسجود وذكر كبريائه سبحانه وعظمته حال الركوع والسجود.

وأما -والعياذ بالله- إذا استكبر العبد ولاسيما عن الغاية التي أوجد لأجلها، وخُلِقَ لتحقيقها وهي: عبادة الله وإفراده وحده بالذل والخضوع والانكسار؛ فإن الله يعاقبه بأعظم العقاب، ويخزيه في الدنيا والآخرة.

وقد ذكر سبحانه في مواضع عديدة من كتابه العزيز أنواع العقوبات التي يُجَلِّها للمستكبرين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]،

أي: صاغرين ذليلين، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤٠) لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠-٤١]

وذكر سبحانه في كتابه العزيز نماذج من المستكبرين من الأشخاص والأمم، ويبيّن ما أحلّه لهم في الدنيا من العقاب وما أعدّه لهم في الآخرة من التكال؛ وذلك لتستبين سبيل المحرمين، وليكون في ذكر حالهم عظة للمتعتظين وعبرة للمعتبرين:

فذكر سبحانه: إمام المستكبرين إبليس عدو الله وعدو دينه وعدو عباده المؤمنين، قال الله-تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]

وذكر فرعون وتكبّره على الحق هو وجنوده، قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [القصص: ٣٩]

وذكر سبحانه من المتكبرين الوليد بن المغيرة معاند الحق والمبارز لله لرسوله بالمحاربة والمشاقة، فذمّه الله ذمّا لم يذمّه غيره، وهذا جزاء المعاندين المستكبرين، قال الله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ

شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ١١-٢٦].

وذكر أيضًا سبحانه تكبر الأمم الماضية عن الحق، فقال عن قوم نوح -عليه السلام-: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧)﴾ [نوح: ٦-٧]، وقال عن قوم هود عليه السلام: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [فصلت: ١٥]، وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مَلِيتِنَا قَالَ أُولَٰئِكَ كُنَّا نَارِهِمْ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وقال تعالى عن قوم صالح-عليه السلام-: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦)﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦]

وعجبًا ثم عجبًا من هؤلاء الطغام سفهاء العقول والأحلام كيف رضوا لأنفسهم الاستكبار عن عبادة الواحد القهار، والاستنكاف عن الإخلاص للعزیز الغفار، ثم صرفوا عبادتهم وذللهم وخضوعهم ل حجر من الأحجار أو شجرة من الأشجار أو لأي مخلوق ليس له إلا الذل والافتقار؟! فلا إله إلا الله،

كيف ذهبت عقولهم عن الحق والهدى؟ وعميت أبصارهم عن النور والضياء؟ وسبحان الله ما أشنعها من حال، يقول الله-تعالى -: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنِّي أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، ألا ما أسفها من عقول!

نعوذ بالله من الضلال ونسأله سبحانه أن يرزقنا الذلّ لجنابه وأن يعيدنا من سبيل المستكبرين فهو وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَى المان والمعين.

وبهذا تنتهي هذه الحلقة وإلى الملتقى إن شاء الله في حلقة القادمة، أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

